التواصل والحجاج مساءلة في المفاهيم والمصطلحات

تاريخ استلام المقال: 2017/06/13 تاريخ قبول المقال للنشر 2018/02/19

علجي فؤاد: طالب دكتوراه، تخصص دراسات جزائرية عضو بمخبر المخطوطات الافريقية بغرب افريقيا -جامعة أدرار

البريد الالكتروني: f78947496@gmail.com

ملخص:

يعد الحجاج والتواصل من بين أهم النظريات التي اهتمت بهما التداولية إلى جانب نظرية التلفظ وأفعال الكلام، وهما يرتكزان أساسا على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبانهما المتكلم، كالعبارات والحجج، إذ لا يمكن لأي مخاطب أن يستغني عن هذا الأسلوب الذي يهدف إلى استهواء المتلقي.

Résumé:

L'argumantation et la communication sont considérées parmi les théories les plus importantes qui sont abordées par la délibération ,ainsi que la théorie de prononciation et les actes de discoure les quelles se basent fondamentalement sur méthode et du style adoptés par le locuteur , tels que les mots et les argument.qui sont indispensable pour le gain de laspiration de certains lecteurs.

مقدمة:

تعد الأبحاث اللسانية الحديثة والمعاصرة المجال العلمي والمعرفي الخصب الذي حاول أن يؤسس لنظريات جديدة لدراسة اللغة ذات قواعد وأسس دقيقة، ومن بين هذه النظريات الحديثة النظرية التداولية أو مايعرف بعلم الإستعمال اللغوي، فاهتمت بالنظرية التواصلية والحجاجية لانها تدرس اللغة وهي تؤدي وظيفتها التخاطبية مركزة على بحث التفاعل بين أطراف الخطاب المختلفة، وجاء هذا البحث لدراسة العلاقة بين الحجاج والتواصل من خلال البحث في مفهومهما وموقعهما في الدراسات التداولية التي تبحث في العلاقة بين اللغة ومستعملها في صياغ معين منطلقا من الاشكال التالي: **أين يكمن الفرق والتداخل بين مصطلح التواصل والحجاج؟ وهل توجد علاقة منطقية بين المصطلحين؟**

أما المنهج المتبع فكان وصفيا تاريخيا.

وقد قسمت موضوع البحث إلى العناصر التالية:

– تعريف التواصل في التراث العربي والدراسات الغربية قديما وحديثا.
– تعريف الحجاج في المدرسة العربية القديمة والحديثة وفي البحوث الغربية قديما وحديثا.
– بين التواصل والحجاج.
– خاتمة

i.التواصل:

لا يختلف إثنان أن الإنسان خلق مستعدا بيولوجيا للكلام "إلا إذا حال بينه وبين ذلك عاهة من العاهات الطبيعية، ولكنه لم يخلق متكلما، وإذا كان البحث في أصل اللغة، المظلم يميل اليوم إلى الاعتقاد بأن الجيل الأول من الإنسان شرع في التواصل عن طريق حركات وصراخات، ونداءات، ومحاكاة صوتية، كتلك الكلمات البدائية القليلة التي قد يصاحب دالها ومدلولها، فإنه أصبح مؤكدا من غير الممكن أن نعرف كيف توصل هذا الجيل إلى التكلم، لكن هذا لا يمنع من القول بأن اللغة المنطوقة خاصة بالإنسان"[1].

ولعل الكثير يظن أو يعتقد أن التواصل كعلم، لم يظهر إلا في العصر الحديث على يد علماء الاتصال، لينتقل بعد ذلك إلى علم اللغة، بل إن دراسته عند الإنسان قديمة جدا، فهذ "أفلاطون" و "أرسطو" اعتبراه علما قائما بذاته.

1– مفهوم التواصل في التراث العربي:

لقد ركز العرب في تعريف اللغة على خاصية التواصل، "فإبن جني" يعرف اللغة بقوله: "أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2]، وبهذا يكون قد أعطى للغة سمة جماعية، وهي سمة من سمات التواصل، إذ لا تكون اللغة لغة إلا إذا توفر فيها مرسل ومرسل اليه، أما "سيبويه" فقد ركز على وصول المعنى إلى المتلقي، حيث قسم الكلام إلى خمسة أقسام وفصل في ذلك قائلا: "فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا.

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح، فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت.

---

[1]- عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 ، ص 20.
[2]- ابن جني، الخصائص، ج1، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د.ت، ص 33.

وأما المحال الكذب كأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[1].

والملاحظ هنا أن "سيبويه" ركز على استقامة الكلام حتى يصل إلى ذهن المتلقي فالكلام المستقيم الحسن هو الذي يفهم بطريقة بسيطة، كما أن الكلام المستقيم الكذب مستساغ كذلك من حيث حمله على المجاز، أما الكلام القبيح، فإن السامع يصعب عليه فهمه، لأن الألفاظ وضعت في غير موضعها، أما الكلام الكذب والمحال، فقد ينقطع فيهما التواصل لعدم استقامة الكلام، أما "الجاحظ" فقد ركز على التواصل من خلال الإبانة عن المعاني، حيث يقول: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2].

فالجاحظ بحديثه عن الإبانة يكون قد حدد خمسة عناصر للعملية التواصلية وهي: المتكلم، السامع، الرسالة، القناة، الشفرة، فالرسالة تكون من متكلم إلى سامع، وغاية كل منهما الفهم والإفهام عن طريق اللغة، وأما الشفرة فهي كشف قناع المعنى.

وهكذا اتضحت لنا آراء علمائنا العرب للتواصل، وأنهم نظروا إليه من خلال اللغة باعتبارها قناة للتواصل.

2- التواصل في الدراسات الحديثة:

نشأت نظرية التواصل في الولايات المتحدة الأمريكية في الأربعينيات من القرن العشرين، وقد أسهمت في ذلك أبحاث عديدة ومتنوعة، وفي اختصاصات محددة، الفيزياء، الرياضيات، في بلورة النظرية التواصلية.

وبعد المحاولات التمهيدية "تمكنت نظرية التواصل من تحديد موضوعها وتأسيس منظوراتها الجديدة، وقد شكل التواصل اللساني فرعا من الفروع المدروسة في نظرية التواصل وتمت في هذا الإطار عملية تحديد دقيقة لمفاهيم عدة وحدود كثيرة، ومن هنا تبلورت

[1]- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص 25.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1988، ص 76.

الأعمال المهمة حديثا بفضل اشتراك علماء الرياضيات ومهندسي التواصل، حيث تم تحديد موضوع نظرية التواصل بحثا تأمليا في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين حيين يهدف إلى غايات تواصلية، ويقتضي هذا التعريف أطرافا مكونة تؤثر في كل سيرورة تواصلية، تبدأ من السنن code المشسترك بين المتكلمين إلى قناة الاتصال وابلاغ الرسالة لعناصرها السياقية والمضمونية وقطبي التواصل المحوريين المرسل والمتلقي"[1].

فالسنن في العملية التواصلية يستند إلى عدد من القواعد خاصة بنظام محدد، ويكون مشتركا بين عدد من المرسلين والمتلقين، أو يكون محصورا في عدد ضئيل على الأقل اثنين.

ويكون السنن على شكل رسالة ناقلة أخبارا بين المتكلمين لأن العملية الإخبارية تأخذ شكل الرسالة بواسطة السنن.

أما القناة فهي محور العملية التواصلية ومركز الاتصال الفيزيقي بين المتكلمين، والمرسل هو مصدر تكون الرسالة، فهو العقل الانساني للغة المنطوقة، وتتم صيرورة فك السنن على مستوى المرسل إليه.

ونجد اللغوي "دوسوسير" قد عالج العملية التواصلية في أصولها البيولوجية والفيزيائية، لما جعل "نقطة انطلاق الدارة في دماغ أحد المتحاورين حيث تترابط وقائع الضمير المسماة تصورات، مع تمثيلات العلامات الألسنية، أو الصور السمعية المستخدمة في التعبير عنها"[2].

فالدماغ ينقل إلى أعضاء النطق ذبذبة ملازمة للصورة، ثم هذه الموجات الصوتية تنقل من فم المتحدث _أ_ إلى أذن المستمع _ب_.

ومن هنا يتحول المستمع _ب_ إلى باث بعد أن استقبل الخطاب الموجه إليه من طرف المرسل، ثم يترسم مخطط الدارة من جديد بطريقة عكسية، أي من دماغ _ب_ إلى دماغ – أ–.

---

[1]- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكوبسون نموذجا، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط1، 2003، ص 24.

[2]- الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 17.

وإليك الرسم التالي الذي اقترحه لها "دوسوسير" في شكل خطاطة[1]:

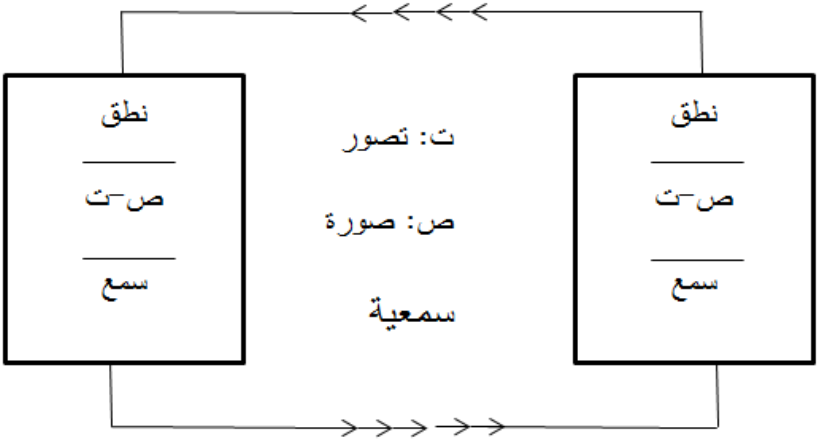

وقد قسم "جاكسبون" وظائف اللغة إلى ستة خانات وست وظائف: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها وصفية.

إن هذه التعريفات المختلفة للغة تتفق جميعها على أن الوظيفة الأساسية لها هي العملية التواصلية، ورغم ذلك فإنه من الصعب أن نعثر على تعريفات للتواصل تتفق وجميع رغبات الباحثين "فمعجم اللسانيات الذي أشرف عليه ج دبوا j–dubois يقترح علينا تعريفين:

1– التواصل La communication تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر inter locuteur يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية escpliciteou implicité، وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم Le sujet parlant.

[1]- فردينان دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي- مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص23.

2-التواصل حدث، نبأ ينتقل من نقطة إلى أخرى ونقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عددا من الأشكال المكفوفة"[1].

في حين نجد مفهوم التواصل في "المعجم الذي أشرف عليه " A. moles-demoél" نجد فيه أن التواصل هو عملية جعل فرد أو مجموعة متموضعة في عنصر من نقطة _س_ يشارك في التجارب التي ينشطها محيط آخر في نقطة _ص_ من مكان آخر، مستعملا عناصر المعرفة المشتركة بينهما"[2]، وهنا يبدو أن صاحب المعجم ركز على التواصل بوجهيه المنطوق والمكتوب.

ويعرف "شارل كولي" التواصل قائلا: "التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الانسانية وتتطور، إنه يتطلب كل رموز الذهن، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات"[3]، فالتواصل من خلال هذا التعريف هو جوهر العلاقات الانسانية، ومحقق تطورها.

وهناك من يعرف التواصل بأنه: "العملية التي بها يتفاعل المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة"[4].

ولضمان العملية التواصلية يجب "مراعاة العرف اللغوي شرطا في كل كلام، وفي كل فن، وهو ما يسميه "هنريش بليث" في الأسلوبيات الحديثة بالدقة أي ملائمة الأسلوب للاستعمال اللساني المعتمد في عصر معين"[5]، وأن تكون "أداة النقل معلومة للناقل وللمنقول إليه وأن تكون مضبوطة وثابتة وأمينة"[6]، وهكذا فالإنسان هو أساس العملية التواصلية، وقد يكون متكلما أو سامعا بينه وبين فرد آخر أو جماعة.

---

[1]- عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ص 78.
[2]- المرجع نفسه، ص 79.
[3]- جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، مؤسسة المثقف العربي، أستراليا، ط1، 2015، ص 10.
[4]- المرجع نفسه، ص 11.
[5]- نواري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 30.
[6]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 39.

وجدير بنا هنا أن نتساءل عن أهمية التواصل بالنسبة للفرد والمجتمع ويمكننا أن نلخص هذه الفائدة في النقاط التالية:

1-يحقق الترابط بين الأفراد ويدعم التفاعل الاجتماعي.

2-يساعد الفرد على الاقتراب من غيره واحساسه بالطمأنينة الناجمة عن التماسك الاجتماعي.

3-يولد الفهم عند الآخرين.

4-يحقق الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع.

ii. الحجاج:

يتميز مصطلح الحجاج بكثرة الحقول الدلالية والمعرفية التي تناولته، كالمنطق والفلسفة واللسانيات ونظرية القانون، وامتد الأمر حديثا إلى علم النفس وعلم الاجتماع وتخصصات أخرى، وعرف الحجاج قديما ما يسمى بالبلاغة والخطابة، وفن الاقناع، وورد ذلك كثيرا في الثقافتين الغربية والعربية بمعنى الجدل والمناظرة وما إلى ذلك.

1-الحجاج في الثقافة الغربية قديما:

حين تعود بنا الذاكرة إلى الوراء ونتغلغل في ثنايا الحضارة اليونانية نجد أن الفلاسفة اليونانيون، هم الذين قدموا بعض الأساليب الحجاجية الماهرة التي اشتهروا بها، وأصبحت من المعالم المحورية في عمليات الحجاج من بعدهم.

فالفلاسفة السفسطائيون غيروا مفهوم الفلسفة من اهتمامهم بالطبيعة إلى اهتمامهم بالإنسان، معبرين عن لغة هذا التغير باهتماماتهم الكبيرة بالبلاغة والخطابة وغيرها، ويعتبرون من مؤسسي فن الخطابة، "فالكلام عندهم فتانا ومخادعا، وأصبح أيضا أداة ووسيلة اقناع واقتناع، تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل"[1].

وكانوا يمارسون الحجاج ويعلمون الناس الخطابة ويهيؤونهم بذلك للحصول على سلطة المجتمع، فكانت غايتهم من هذا التعليم للخطابة والبلاغة ، هو القدرة على الإلقاء والجدل

[1]- ينظر، الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص13.

حتى يتمكنوا من مواجهة كل المسائل، إما بفكرة صائبة أو التلاعب بالألفاظ لإفحام السائل، فهم يعلمون الناس كيف يخدمون الفكرة لكسب الخصم بشتى الطرق كاللعب بالألفاظ، والكنايات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة.

فالنظرية الحجاجية عند السفسطائيين، تكمن في التلاعب بالألفاظ، والهروب من الحقيقة باستعمال حجج واهية وبراقة وخداعة محاولين من خلالها التأثير واقناع الآخر.

2-الحجاج في الثقافة العربية القديمة:

نتعرض في هذا الجزء من البحث للفظ الحجاج من حيث الدلالة اللغوية عند علماء اللغة قديما، ويجدر بنا أن نتغلغل في بطون أمهات المعاجم اللغوية لمعرفة الأصول الأولى لمادة "ح.ج.ج"، ففي لسان العرب وتحت مادة "ح.ج.ج" نجد الكثير من المشتقات الفعلية والإسمية دالة على تنوع السياق اللغوي الذي يعكس سياقات ثقافية مختلفة وهي كالآتي:

-**حجج:** "الحجّ: القصد. حجَّ إلينا فلان أي قدم.

- والمحجّة: الطريق، وقيل جادة الطريق.

- والحجّة: البرهان، وقيل: الحجّة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة.

- وحجّه يحجّه حجّا: غلبه على حجّته وفي الحديث: فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجة.

- والحجّة: الدليل والبرهان، ومنه حديث معاوية: فجعلت أحجّ خصمي أي أغلبه بالحجّة"[1].

تبين هذه التحديدات القاموسية أن لفظ الحجاج في مضمونه يحمل دلالة ومعنى، متمثلا في النزاع، الخصام، بواسطة الأدلة والبراهين والحجج.

ولا بأس أن نستأنس بمعاجم لغوية أخرى حتى نعطي هذا المصطلح بما يحمله من دلالات ومفاهيم قال "الزمخشري": "حجج: إحتجّ عل خصمه بحجّة شهباء، وبحجج شهب،

1- ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، مادة "ح.ج.ج"، ص 288.

وحاجَّ خصمه فحجّه وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجّة وملاجة"[1]، فالزمخشري حصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظفر.

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة للمدلول اللغوي لمادة "ح.ج.ج" التي استفاضت في تفسيرها أمهات الكتب العربية واللغوية وما حملته من دلالات، يمكننا القول: بأن مادة "ح.ج.ج" تفرعت منها معاني جزئية ثلاث:

"فالمعنى الأول: المحاج وهو صاحب الغلبة _الغالب_ والثاني: المحجوج _المغلوب_ والثالث: الحجج التي يتبادلها المتخاصمان"[2].

وهكذا فالتفسير اللغوي يبقى قاصرا وضيقا وتشوبه بعض النقائص لا يحوي مفهوم الحجاج لكونه علما قائما بذاته له أركانه وطرائقه.

3-الحجاج في الثقافة الغربية حديثا:

أ- لغة:

يقابل هذه اللفظة في الفرنسية، لفظة "Argunentation"والتي تدل على معاني متقاربة كالتي استعملت في اللغة العربية حسب ما جاء في قاموس "روبير":

"القيام باستعمال الحجج.

- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة"[3].

أما في اللغة الانجليزية فيشير لفظ "Argue" إلى "وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل التي تكون مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما"[4]، فالحجة مرادف للدليل، وهي التي تلزم الخصم وتسكته.

---

[1]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، مادة "ح.ج.ج"، ص 169.

[2]- سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011، ص 14.

[3]- ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب _الإمامة والسياسة_ لابن قتيبة، دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، إشراف الأستاذ: السعيد بن براهيم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010، ص 21.

[4]- إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، إشراف الأستاذ: الجودي مرداسي ،جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013، ص 13.

ب- إصطلاحا:

الحجاج عند "بيرلمان":

يجدر بنا أن نتعرض للتعاريف التي قدمها "بيرلمان" للحجاج فيجعله "مجموعة من الأساليب أو التقنيات التي تقوم في الخطاب بوظيفة وهي حمل المتلقي على الإذعان بما يعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإذعان"[1].

ويقول أيضا في موضع آخر: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2].

يفهم من هذين التعريفين أن "بيرلمان" جعل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره.

أما غاية كل حجاج حسب "بيرلمان" فهي "أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين"[3]، يفهم من هذا الكلام أن الحجاج يقوم أساسا على الحجج القوية والبارزة حتى تؤثر في السامعين.

الحجاج عند "ديكرو":

الحجاج عند ديكرو كما جاء في كتابه الحجاج في اللغة، أنه: "إنجاز لعمليتين هما عمل التصريح بالحجة من جهة وعمل الاستنتاج من جهة أخرى، سواء كانت النتيجة مصرّحا بها أم ضمنية"[4].

فديكرو جعل الحجاج يقوم عل اللغة التي تجعل الأقوال تترابط بشكل دقيق، وأن دور المتكلم يجعل قولا ما حجّة ليقنع بها المتلقي ذلك على نحو صريح أو بشكل ضمني.

ونوضح هذا بالأمثلة التالية:

أنا مريض إذا أنا بحاجة إلى الراحة.

---

[1]- سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، ص 24.

[2]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ط1، 2001، ص 27.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 27.

[4]- سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، ص 30.

الجو جميل لنخرج في نزهة.

إذا نظرنا إلى هاذين الجملتين، نجد أنهما تتكونان من حجج ونتائج، والحجة تقدم لتؤدي إلى نتيجة معينة، فالمرض مثلا في الجملة الأولى يتطلب الراحة، فالمرض دليل وحجة قاطعة على أن الشخص المريض بحاجة إلى الراحة، والشيء نفسه يقال على المثال الثاني فجمال الجو يدفع بالنفوس إلى التنزه.

والحجة قد تكون ظاهرة كما في الأمثلة السابقة، أو مضمرة بحسب السياق، كما في قولنا:

أنا بحاجة إلى الراحة.

أنا مريض.

ففي المثال الأول ذكرت النتيجة وأضمرت الحجة، أما في المثال الثاني فلم يصرح فيه إلا بالحجة والنتيجة مضمرة.

وأخيرا يمكننا القول بأن الغربيين تمسكوا بالإرث اليوناني، وبعثوا النظريات الحجاجية القديمة في ثوب جديد.

4-الحجاج في الثقافة العربية حديثا:

لم تطالعنا "الدراسات العربية الحديثة بآراء مختلفة عن آراء الدراسين الغرب، بل لم تتعدد العرض والتفسير وإن اختلفت، إنما تختلف في التطبيقات التي تتباين بتباين النصوص، خاصة منها القرآنية والتراثية، لكننا قد نواجه ونجد وجهات نظر تحددها زاوية المعالجة التي ينطلق منها الدرس كالفلسفة لا سيما عند طه عبد الرحمن، أو البلاغة القديمة عند محمد العمري وغيرهما من الدارسين"[1].

الحجاج عند طه عبد الرحمن:

تمتاز النظرية الحجاجية عند طه عبد الرحمن بطابعها الفلسفي، كونه أستاذا للمنطق والفلسفة، ففي كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" يضع حدا لنظرية الحجاج انطلاقا من كونه صفة للخطابة، ومن هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفا خاصا ينبني على قصدين معرفيين هما (قصد الإدعاء-قصد الاعتراض)، أما قصد الإدعاء فهو: "أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا، حتى يحصل الناطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه

[1]- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 30.

وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لأن الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق إما ناقلا بقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، وإما كاذبا في قوله، فيكون عابثا باعتقاد غيره، فإذن المدعي هو عبارة عن المخاطِب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله[1].

وقصد الاعتراض يكون من المخاطب "وهو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي"[2]، فالحجاج "إنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[3].

الحجاج عند محمد العمري:

يسميه (الخطاب الإقناعي) في كتابه في "بلاغة الخطاب الإقناعي"، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، معتمدا في ذلك على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب، ويركز "محمد العمري" على عنصرين من عناصر الإقناع في البلاغة العربية القديمة وهما المقام، وصور الحجاج_ الشاهد حيث صنف المقامات إلى نوعين:

أ- "**مقامات الخطابة السياسية:** وتكون بين الخليفة ومحاوريه، وتقل فيها الحجج، وتسود فيها المواعظ، الوعد، الوعيد.

ب- **مقامات الخطابة الاجتماعية:** تتمثل إما في التنظيم الاجتماعي ويضم خطب الصلح والمخاصمات، ويعتمد الحجة المقنعة والتأثير الأسلوبي.

أما صور الحجاج والمتمثلة في الشاهد وهو من الحجج الجاهزة أو غير الصناعية كما يسميها أرسطو، وتجمع الأمثال، الأبيات الشعرية، الآيات القرآنية"[4].

وجاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا: "الحجاج هو جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله"[5].

فالحجاج من هذا المنطلق مدونة لغوية اجتماعية غايتها إقناع المعترض العاقل بمعقولية رأي من الآراء.

---

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت،لبنان، ط1، 1998، ص 225.
[2]- المرجع نفسه، ص 226.
[3]- المرجع نفسه، ص 226.
[4]- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ص 62.
[5]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت،لبنان، د.ط، 1994، ص 446.

iii. بين التواصل والحجاج:

يقال بأن لفظ الحجاج لا يدور على الألسن مثلما يدور عليه لفظ التواصل ولو أنه لا تواصل باللسان من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل فمثلا لو قال قائل: "إعلم أن الشرق مهد الحضارة، فإن السامع الذي لا يعلم بمضمون هذا القول، قد لا يسلم له ذلك، فيطالبه بأن يثبت صدق قوله، قد يقول هذا القائل: لقد ضم الشرق أقدم مراكز الحضارة، وأكثرها عددا، فيعد جوابه هذا إثباتا للقول الأول، وكل إثبات هو حجة القائل"[1].

فالحجاج يحاول أن ينقل معارف معينة، هدفها خلق أو توكيد قناعات وترتيبات وذلك للتعامل مع المواقف، بغرض الإقناع وليس إثراء معارف المتلقي.

أما التواصل يبنى أساسا على نقل المعارف بين المتكلم والمتلقي، والحجاج هو عالم يتفاعل فيه كلا الطرفين لفهم الكثير من القضايا.

عموما نلاحظ بأن مفهوم التواصل يقترب مع مفهوم الحجاج، بحيث يصبح المفهومان معا تداوليين، وبالتالي يصعب التفريق بينهما، وهذا ليس من الناحية التعريفية التي قدمت لهما، وإنما في مجال استخدامهما.

خاتمة:

لقد أفضى البحث إلى جملة من النتائج سنوجزها في هذه الخاتمة:

–يشمل التواصل على كل ما يمكن أن يصدر عن الإنسان من حركات وأقوال وكلام.

– إن الهدف من الحجاج هو الوصول إلى إقناع السامع بفكرة ما، كان قد أخذ منها موقف الرافض، ومن ثم فهو يتم أولا بإبطال الفكرة المراد نقضها، والتي تكون مسيطرة على ذهن المتلقي، ثم إحلالها بالفكرة المراد إثباتها، وذلك باستخدام الأدلة العقلية والعلمية.

– التواصل غير الحجاج والحجاج غير التواصل، التواصل قد يكون لغويا، وذلك في إطار تبادل كلامي من متكلم وسامع بغرض نقل المعارف لا غير،

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 255.

وقد يكون التواصل غير لغوي باستعمال حركات الجسم وتعابير الوجه ونحوها، أما الحجاج فيقتضي وجود اللغة والأدلة والبراهين كضمان لتحقيق التفاعل.

قائمة المصادر والمراجع:

1.أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، مادة " ح ج ج".

2. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

3. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1988.

4. ابن جني، الخصائص، ج1، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.

5. جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، مؤسسة المثقف العربي، أستراليا، ط1، 2015.

6.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1994.

7.الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

8.سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري،تيزي وزو، 2011.

9.الطاهر بن حسين بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

10.طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

11.طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

12.عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومه، الجزائر، .2000

13.عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكبسون نموذجا، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط1، .2003

14.عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات، تونس، ط1، 2001.

13. نواري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012.

14. هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

المراجع الأجنبية المترجمة:

1.فردينان دو سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي- مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986.

المعاجم العربية:

1.ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، مادة " ح ج ج".

الرسائل الجامعية:

1.ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، إشراف الأستاذ: السعيد بن براهيم، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010.

2.إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية، إشراف الاستاذ: الجودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2013.